

هل نسي مام جلال التاريخ؟



جان كورد

20.11.2007

التاريخ العسكري لهتلر وجنرالاته وما آلوا إليه بعد سقوط النازية، يمكن أن يشجع الرئيس العراقي جلال الطالباني الذي يسميه الكورد بمام (العم)، في وضع رأيه الشخصي جانبا، تجاه مسألة اعدام القادة العسكريين الاستخباراتيين العراقيين، في هذه الأيام التي تبدأ محاكمة جنرالات كمبوديا على جرائمهم ضد الإنسانية... وتوقيع قرار أعلى سلطة قضائية عراقية.



ولكن يبدو أن سيادة الرئيس العراقي منهمك في موضوع اجتذاب قادة البعث والجيش العقائدي المنحل إلى صف الحكم، ومعهم العديد من الإرهابيين الذين فجروا الأحياء والمساجد والأسواق والمستشفيات من الإسلاميين المتطرفين الذين يقتلون الناس على الهوية المذهبية والطائفية والقومية و"رجال المقاومة!" من أمثال عزت إبراهيم الدوري والخزرجي وغيرهما.. وهذا يعني أن ليس هناك وقت لقراءة التاريخ في القصر الجمهوري لمقارنة بسيطة بين جنرالات أدولف هتلر الذين كانوا يفضلون الانتحار على أثر فشلهم في امر ما ويتامى صدام حسين المشنوق، هؤلاء الذين كانوا يدخلون قفص محاكمتهم دون أن يبدو الأسف في وجوههم على ما فعلوه أثناء تواجدهم في السلطة، وكانوا مهتمين باظهار زيمهم العربي من دسداش وعقال في أروع وأبهى زينة أمام كاميرات التلفزيون، دون أن يخلجوا لما ارتكبوه من جرائم وللحال التي صاروا فيها بعد الهزيمة في عدة حروب متتالية: الحرب على شعب كوردستان، والحرب على الجارة ايران، والحرب على الكويت الشقيق... ثم "مقاومتهم العظيمة للاحتلال الأمريكي بشهادة الصحاف وزير إعلامهم التاريخي!!!".

أقول ثانية: إن قراءة التاريخ مفيدة للمجلس الرئاسي العراقي وغيره من الذين يكتبون الرسائل للحكومة الدانماركية مؤكدين فيها على أن جنرالات صدام كانوا مجرد أناس أطاعوا فرعونهم، فقط لاغير ... وليس مهما جدا معاقبتهم على ما ارتكبوه... وكانهم لم يقرأوا يوما ما فعله الله تعالى بفرعون وهامان و"جنودهما"...

بعض المؤرخين يشددون على أمر هام في تاريخ الرايخ الثالث الألماني، حيث يرون بأن الجنرالات الألمان لم يكونوا الطامحين إلى الحرب، بل كان هتلر هو الراغب في ذلك، وكان يلقي مقاومة من بعضهم في سياسته ومخططاته وتوجهاته، وأن القادة المجرمين الكبار الذين ساندوه وآزره لم تكن لديهم الشجاعة الكافية لخوض حرب (مثل غورينغ)، أولم تكن لديهم القوة الكافية لاقتناع الآخرين (مثل هيملر)، أو مجرد اتباع يبحثون عن سيد لهم (مثل غوبلز) الذي ورد في يومياته بأن الظنون كانت تساوره هو أيضا بصدد الخطط الحربية لزعيمة أدولف هتلر...

إن تحميل الألمان وحدهم في معاهدة فرساي وزر الحرب العالمية الأولى كان مغضبا جدا للجنرالات الألمان حتى قبل ظهور الحزب النازي وزعيمه النازي هتلر، وكانوا بحاجة ماسة إلى من يفسخ تلك المعاهدة الدولية، ويتألق نجم هتلر وجدوا فيه من يبحثون عنه، وتحقق لهم النصر بخروج ألمانيا من أزمتها الاقتصادية لعام 1929 وانخفاض نسبة البطالة بشكل ملحوظ وتحول ألمانيا إلى قوة أوربية عملاقة وبعد أن تم "اعادة النمسا إلى الحوض الألماني"... ولكن الجنرالات كانوا يتخوفون في الوقت نفسه من أن يجر أدولف هتلر جيوشهم إلى كوارث حقيقية ...

عندما وضع هتلر خطته في عام 1938 لغزو تشيكوسلوفاكيا تلقى مقاومة قوية من لدن قادة جيشه، إذ تكونت مجموعة من ضباط الأركان، كان الناطق باسمها الجنرال الركن لودفيغ بيك، هذا الضابط الشجاع الذي لايشك أحد باخلاصه للجيش الألماني... قرر أن يصارح رئيسه في القيادة العسكرية والزعيم القائد بأن غزو تشيكوسلوفاكيا يعني تدمير ألمانيا، فوافقه على ذلك الجنرال الأعلى براوخهيتش في حين رفض هتلر مخاوف الجنرال لودفيغ بيك رفضا قاطعا، فاضطر الجنرال إلى الاستقالة من منصبه، وعين بدلا عنه قائد الجيش في ولاية بافاريا عام 1938 الجنرال فرانز هالدير الحاصل على أعلى جائزة للشجاعة من قبل...



الجنرال لودفيغ بيك

وبمجرد أن وجد الجنرال فرانز هالدير نفسه وسط القادة العسكريين القادرين على عمل شيء ما ضد تهوور هتلر وحزبه العقائدي، فإنه اتفق مع مجموعة من الجنرالات مثل أرثين فون فيتسليين والكراف بروكدورف آيفيد اللذين كانا من مجموعة الجنرال المستقيل لودفيغ بيك على أن تضرب قوات الحرس في برلين ويوتسدام ضربتها بالسيطرة على العاصمة برلين وتعتقل أدولف هتلر، حال مباشرته بالحرب، ومن ثم إقامة نظام برلماني في البلاد يحميه الجيش باخلاص، وكانوا قد اتصلوا سرا بالحكومة البريطانية، إلا أن رئيس الوزراء البريطاني نيفيل تشامبرلين لم يشأ التعاون معهم لتعاظم مخاوفه من انتقام هتلر في حال فشلهم، والفرنسيون في ظل حكومة دالادير كانوا يخافون القوة المتعاظمة لأدولف هتلر أيضا...

حقق هتلر نجاحا في اتفاقية 1929/9/29 مع تشامبرلين البريطاني، دالادير الفرنسي، والدكتاتور الإيطالي موسيليني، بمدينة مونيخ الألمانية (ميونيخ) على ضم منطقة بوهمي إلى ألمانيا، مما أدى انتصاره الدبلوماسي هذا إلى إفساح خطة الجنرال المستقيل لودفيغ بيك والجنرال فرانز هالدير للتخلص منه...

ونعلم أيضا أنه في شتاء عام 1939 عندما شن النازيون الحرب على بولونيا وشرعت العصابات المجرمة تحت أمره الجنرال هيملر في القضاء المبرم على اليهود وعلى خيرة ضباط الجيش البولوني وشرائح معينة من المجتمع والاقتصاد والثقافة البولونية، فإن بعض الجنرالات الألمان المعارضين لتلك السياسة قد اعتقلوا رؤوس هذه العصابات الدموية وقدموهم للمحاكمة العسكرية، إلا أن هيملر اتصل فورا بزعيمة هتلر الذي سرعان ما تدخل وأفشل خطة الجنرالات.

بعد خرق هتلر للهدوء على الجبهة الغربية لألمانيا وهدد السلام مع هولندا وبلجيكا وأرعب الفرنسيين أيضا، قرر قائد أحد الجيوش في تلك الجبهة، الجنرال الركن فرايهر فون هامرشتاين دعوة زعيمة هتلر إلى مقر قيادته العسكرية لاعتقاله والتخلص منه بدون محاكمة، إلا أن هتلر رفض الدعوة في آخر لحظة ونجا بذلك من الفخ المعد له باحكام ودقة.

كلما توسعت امبراطورية هتلر الدموية ازدادت مخاوفه من ثورة الجنرالات عليه فشرع في كسب ودهم وتأبيدهم باغداق النياشين والرتب والأموال والمناصب عليهم، ففي 1940/7/19، بعد ان حققت جيوشه الغازية انتصارا على النرويج شمالا وعلى الجبهة الغربية أيضا، كرم 12 جنرالا في يوم واحد برتبة مارشال جنرال، ومن بينهم فون فيتسليين، فون رايشناو، فون بروخهيتش، فون كلوغي و كايتل... كما رفع من رتبة هالدير وغودريان وهوينير وفروم وآخرين...

في عام 1944 قرر هتلر مشاهدة البذلات العسكرية الجديدة في مقطورة قطار عسكري، فوضع بعض جنرالاته خطة لتصفيته أثناء تلك الزيارة، إلا أن الحظ أسعفه، حيث تم قصف المقطورة من قبل طائرات الحلفاء واحترقت تماما في الليلة التي سبقت زيارة هتلر...

حاول الجنرال هينينغ فون تريسكوف، قائد الجيش في جبهة سمولينسك الشرقية، اغتيال أدولف هتلر عدة مرات، ولكن محاولاته باءت كلها بالفشل...



الجنرال هينينغ فون تريسكوف

في 13 آذار 1943 زار هتلر أحد قواده المخلصين في الجبهة الشرقية المارشال هانز فون كلوغي، فبعث الجنرال فون تريسكوف أحد ضباطه المخلصين (الملازم فابيان فون شلابريندوف) ومعه صندوق متفجرات على أن الصندوق يحوي زجاجات كونيكا للزعيم هتلر، وكان قد خطط الجنرال أن ينفجر الصاعقان في الصندوق في الجو بالقرب من مدينة مينسك أثناء عودة هتلر جوا إلى برلين، إلا أن وجود الصندوق في الجزء الأدنى من الطائرة أضر بالصاعقين اللذين تجمدا ولم يتفجر أي منهما...

وبعد أن فشلت محاولة اغتيال هتلر الشهيرة في 20 / 7 / 1941 من قبل الجنرال كلاوس غراف فون شتاوفنبيرغ، تلك المحاولة التي كان الجنرال المتمرد فون تريسكوف ضالعا فيها أيضا مع 22 جنرالا آخرين، ومن بينهم عمه الجنرال فون كلوغي والجنرال فون شتولب ناغلن أطلق فون تريسكوف النار على نفسه في الجبهة الشرقية قبل ان يقع في أيدي جهاز الغستابو الشهير بوخشيته وفضاعته، في حين جرع عمه السم وهو في طريقه من فرنسا إلى برلين، بينما فشل الجنرال فون شتولب ناغل في عملية الانتحار ففقد عينا له عندما أطلق على نفسه النار...



الجنرال كلاوس غراف فون شتاوفنبيرغ أمر هتلر باعدام أفراد هذه المجموعة (19 جنرالا وأدميرالا واحدا) إلا أن بعضهم انتحر بنفسه، مثل فون تريسكوف، شتيف، أوستر، هيرفورد... ووقع بعض الضباط غير المشاركين في عملية الاغتيال ضحايا اجرام هتلر وتابعه هيملر، ومنهم الجنرال هانز غراف فون سبوتني، احد أبرز قواد الجبهة الشرقية...

ومع هذا فإن المحكمة الدولية لمحاكمة مجرمي الحرب التي انعقدت بعد اندحار النازية في مدينة نورنبرغ الألمانية في الفترة (1945/11/20 – 1949/4/11) لم ترحم الجيش الهتلري وقواده ورجالات مخابراته وأجهزته القمعية وزعماء الحزب النازي، ولم تقل بأن هؤلاء كانوا مجرد ضباط نفذوا أوامر الزعيم، كما لم يقل ذلك رب العالمين، سبحانه وتعالى، عندما أمر بالقضاء على فرعون وهامان وجنودهما بغرقهم جميعا في البحر...



- تم في محكمة نورنبرغ محاكمة كل من :
- الحكومة الألمانية
 - قيادة الحزب النازي
 - قيادات المخابرات بأقسامها وتسمياتها المختلفة (SS, SD, Gestapo, SA)
 - قيادات الجيوش الألمانية

وذلك بتهم:

- التآمر على السلام العالمي
- التخطيط والشروع والبدء بحرب هجومية
- الاجرام أثناء الحرب وخرق القوانين الدولية للحرب
- ارتكاب الجرائم ضد الإنسانية

تولى المحكمة قضاة من دول الحلفاء على الشكل التالي:

- فرانسيز آ. بيدلي (الولايات المتحدة الأمريكية)
- أيولا ت. نيكيشينكو (الاتحاد السوفياتي)
- ألكسندر ف. قولچكوف (الاتحاد السوفياتي)
- سير جيوفري لورنس (بريتانيا)
- نورمان بيركيت (بريتانيا)
- هنري دونيديو دي قابري (فرنسا)

- روبرت فالكو (فرنسا)

وتشكلت النيابة العامة من :

- روبرت ه. جكسون (الولايات المتحدة الأمريكية)

- رومان آ. رودينكو (الاتحاد السوفيتي)

- سير هارتلي شاوكروس (بريتانيا)

- فرانسوا دي مينتون (فرنسا)

وهذا يعني أن محكمة نورنبرغ لم تكن شكلية وانما مدروسة بعناية ومقبولة دوليا ولم تصدر عنها أحكامها جزافا أو بصورة مغايرة لأحكام القوانين الدولية، سواء في مجال المحاكمات بسبب الحرب أو بسبب الجرائم ضد الإنسانية...

تم محاكمة عدد كبير من مجرمي الحرب الألمان، مدنيين وعسكريين ورجال مخابرات وموظفي دولة وحزبيين، ولم تفرق بينهم المحكمة بسبب رتبهم العسكرية أو مدى طاعتهم للزعيم أو بسبب أعمارهم، لأنهم كانوا متنفذين مخلصين لأوامره في الدولة والجيش وأجهزة القمع النازية... والذين تم تقديمهم إلى محكمة نورنبرغ هم: الدكتور هيرمان غورينغ، رودولف هيس، فيلهلم كايتل، أرنست كالتنبرونيير، ألفريد روزنبرغ، هانس فرانك، الدكتور فيلهلم فريك، يوليوس شترايشر، فالتر فونك، هيالمار شاخت، كارل دونتز، اريش ريه ده ر، بالدور فون شيراخ، ألفريد يودل، فرانس فون بابن، آرثور سليس - انكورات، ألبرت سبير، كونستانتين فون نيورات، هانز فريتش...

وهناك من المتهمين من انتحروا قبل المحاكمة، وهم: روبرت لبي، غوستاف فون بولين، هالباخ، في حين تمت محاكمة مارتين بورمان غيابيا لاختفائه وهروبه...

ومن القادة البارزين الذين تم الحكم عليهم بالاعدام، دون اعتبار النظر لوظيفتهم أو رتبهم العسكرية:



- فرانس هانز (من مواليد 22 /5/ 1900) أعدم في 16/10/1946 نتيجة ادانته بجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.



- هيرمان غورينغ (من مواليد 12/1/1893) انتحر بالسلم في حجرة معتقله قبل اعدامه بساعتين، وكان قد أدين بكل الجرائم الموجهة لزملائه.



- أرنست فريدريش ساوكل (من مواليد 27/10/1894) أعدم أيضا في 16/10/1946 لادانته بجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.



- الدكتور ارنست كالتنبرونيير (من مواليد 4/10/1903) أعدم مثلهم في 16/10/1946 لادانته أيضا بجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.



- الدكتور آرثور سايس- أينكورات (من مواليد 22/7/1892) أعدم كذلك في 16/10/1946 لادانته بجرائم تخطيط وتدبير وتنفيذ حرب هجومية، وجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

والصور المنشورة تثبت بأن اثنين على الأقل من هؤلاء المجرمين الكبار الذين حكم عليهم بالإعدام كانوا ضباطا برتب عالية، ويجدر بالذكر أنهما كانا من أشد المخلصين لزعيمهم الدموي وكانوا مجرد متنفذين مثل الفريق الركن العراقي هاشم سلطان وأقرانه ، أعوان صدام المطيعين المخلصين، الذين يحاول المجلس الرئاسي العراقي انقاذ أعناقهم من حبل الإعدام، لتحقيق مآرب سياسية ومن وراء ذلك وللحفاظ على السمعة الشخصية كرافضين لحكم الإعدام، وذلك بعد أن حكمت عليهم محكمة عراقية مدنية حسب القانون العراقي بالإعدام شنقا حتى الموت وصادقت على القرار أعلى السلطات القضائية العراقية، وكان هذا المجلس الرئاسي فوق القانون ولايعترف بعدالة ونزاهة القضاء العراقي، أو لاتؤمن بشريعة العين بالعين والسن بالسن...

فأين استقلالية القضاء في الدولة الديمقراطية وأين العدالة تجاه منات الألوف من ضحايا هؤلاء المجرمين؟ وأين مقارنة وضعهم بوضع القادة العسكريين الذين تقاتلوا في الاخلاص العسكري لهتلر ولم ينفعهم إخلاصهم ذاك أمام محكمة نورنبرغ، في حين أن الخزرجي وهاشم سلطان والسامرائي وكل مجرمي نظام صدام يحظون برحمة من لدن مام جلال وأعضاء مجلسه الرئاسي؟...

فهل تذهب دماء أطفال حلبجة هباء لأن هاشم سلطان وغيره كانوا مجرد مخلصين متنفذين لأموار صدام حسين؟ إذن فلیدعوهم يعودون إلى بيوتهم ليحتضنوا أولادهم وليقضوا عطلات الصيف في جبال كردستان بالقرب من مقابر حلبجة؟
إنها الحرية والديموقراطية العراقية في أجمل تجلياتها... حرية القتل الجماعي دون عقوبة تناسب حجم الجريمة...